

# النشاط الثقافي في العالم

« صفة » كالجنه الذهب . الا انه فيما خلا ذلك تكاد الوقائع تكون مطابقة لتخيلات هكسلي . فجنبنا الى جنب مع القدر اللازم ( والذي قد يزيد وقد ينقص من هذا المجتمع الى ذلك ، الا انه لا مهرب منه ) من « الهندسة » الاجتماعية والضببط الاجتماعي ، يوجد ذلك القدر الذي تراهى لبصيرة هكسلي من عشرات السنين من « التخدير » الذي يبدو انه لا مهرب منه أيضا في تلك المجتمعات التي مهما فيل فيها فانها اعتسافية : التخدير للكتل البشرية المكونة من الارقام عديمة الوجوه القابلة للاسهلاك الفوري والاستبدال ، ابقاها في حالة هدوء وسكون وانصياع . وهناك مجتمعات تفعل ذلك عن طريق التخدير بالشعارات والاحلام البلهاء ( كحكاية المجد والخلود ) ويتواكب فيها القمع والطفيل مع غسيل المخ والهوس « الديني » الايدولوجي أو غير الايدولوجي ، وهناك مجتمعات أخرى ، كهذا المجتمع البريطاني يحل فيها وهم « العربة » وسعارات الجسد محل « المجد والخلود » كمقارن تخدير .

وقد اطلق هكسلي على عملية التخدير الشاملة المستمرة هذه اسما عاما معبرا بحق هو « قضاء وقت طيب » ، ولم يكتف - في استشفافه للواقع - بالوقوف عندها ، بل احتاط مدير المجتمع في روايته ، خشية الا يكون ذلك المهديء كافيا ، فاخرجت معالمهم للمستهلكين عقار « السوما » الذي يعزل من يتعاطاه عن توترات الواقع وصراعاته المثيرة للقلق ويجعله - لدى ساعات - في حالة بلهية كاملة . ولا ننسى ان ذلك المثقف العظيم كان من اوائل من فطنوا الى خطر ذلك النوع من التحكم الكيماوي في الوعي الانساني ، وعندما اكتشف العلماء في وقته عقار « المسكاليين » ، الذي استخرج من نوع من انواع الصبار ، جربه على نفسه وسجل تلك التجربة الرهيبة في مقال بعنوان « ابواب الإدراك » . واليوم نشهد تعايش الانتشار شبه العلني لعقارات الهلوسة والمخدرات ، بل وبدايات السماح بتعاطي أنواع منها قانونا في بعض المجتمعات الصناعية ، مع ذلك النوع الاخر الاكثر انتشارا وفعالية من التخدير المتمثل في ادوات التوصيل الجماعي كالتليفزيون والسينما .

وانت عندما تتابع عن كتب عملية التفسخ والتحلل الانساني التي لا تتوقف في النسيج الحي للمجتمعات الصناعية . وتحس النبض المحموم الذي لا يهدأ لحظة لحياة الفرد فيها وهو غارق في عزله ، مهدد بالانهيارات العصبية ، وبكل ما يضمه القاموس الطبي لتلك المجتمعات من امراض الحضارة ، تستطيع ان تدرك لم يقبل ذلك الفرد بكل هذا النهم على وعاء « الاوقات الطبية » بكل ما قد يكون فيه من اوساخ ممخطة . وبالحقيقة ما حيلته ، ذلك المستهلك ، وكل اجهزة الاعلام والتوصيل والاعلان تدق رأسه طوال ساعات يفظه لتقمعه بالمباهج التي لا تتصور التي تنتظره على بعد خطوة واحدة فقط لتلا له حياته الكالحة بالتمتع والمغزى ، فقط اذا ما تقدم خطوة ، واخرج كل ما في جيبه ، وفقر ، فتحول الى حيوان منحصر ؟ وبهذه الطريقة يتحول الجنس التجاري وتتحول ممارسة العنف بالوكالة الى « طريقة حياة » كاملة .

والذي يلفت النظر في ذلك كله ان احدا ليس يغافل عن شيء مما يجري . وهناك اناس يقومون كل يوم بحملات « صليبية » ضد هذا الامتهان للنوازع الانسانية . خذ مثلا اللورد المثالي الطيب السريرة ، لورد لاجفورد ، ولجنته التي شكلها بمبادرة شخصية منه ، والبحث

انكسلا

## رسالة لندن من شفيق مفار موجة افلام الجنس والعنف

في احصائية نشرت مؤخرا ، بمناسبة استقالة الامين العام للمجلس البريطاني للرقابة على الافلام ، ان الرقابة اجازت للعرض العام خلال سنة ١٩٧٣ ( حيث لم تكتمل بعد احصائيات عام ١٩٧٤ المنقضي ) ٤٧٧ فيلما ، بلغ عدد ما اجيز منها بشهادة ( X ) التي تعطى لافلام الجنس والعنف والرعب غير المسموح بمشاهدتها ( نظريا ) لن هم اقل من ١٨ عاما ٢٤٩ فيلما ، مقابل ٢٢٨ من كافة الانواع الاخرى . وهو عدد ملفت للنظر فعلا . ولا نتفقد ان النسبة اختلفت عن ذلك كثيرا خلال عام ١٩٧٤ ، ان لم تكن زادت ، لصالح افلام الجنس والعنف .

فالمستهلك البريطاني ، بصرف النظر عن درجته في سلم تصنيف المستهلكين ، يلق - فيما يبدو - بنهم كل ما تمتد به الايدي المنتجة من سلع فاسدة او مفسوشة لتسترد بها من جيبه ما تكون قد اعطته اياه من اجر طوال الاسبوع . والحقيقة ان الحياة ، منظورا اليها في ذلك الاطار الفني بعض الشيء ، تبدو كما لو كانت لعبة « ثلاث ورفات » رخيصة ، او ( « Con Game » ) كما يقول الاميركيون ، يتحول فيها الفرد ، في كل مرة ، الى ذلك « الريفي » الذي نزل المدينة حديثا فتصيده النصابون لينظفوا جيوبه . والمشكلة ان اولئك النصابين هم هم من يهرول ذلك « المستهلك » الى اوكارهم صباحا ويعود منها مقصوم الظهر مساء ، ليبع لهم حياته ساعة بساعة ، بقوله انه يعمل . وحقيقة ان العمل هنا لم يتحول الى « شرف » وواجب » وما الى ذلك من اشياء جميلة ، بل ظل - بساطة فظة - حسة بسيطة : ١ - ١ = صفر ، او « لا تعمل وتمت جوعا ، وانت ( والله العظيم ) على الحالين حر ! » . فعلمية النصب هنا ليست في هذه المرحلة ، بل في المرحلة التي تليها : مرحلة ما بعد قبض الاجر . وهنا ايضا ، « انت حر » . اي ان لك مطلق الخيار في ان تدخر اجرك ( ان بقي لك من ذلك الاجر شيء بعد سداد ثمن الطعام والسكن والملبس ) او تنفقه على « قضاء وقت طيب » . ورحم الله المثقف الإنجليزي العظيم الدوس هكسلي . فقد تراءت تلك الصورة عينها ، بكل صفاقتها ، منذ بضعة عقود ، في روايته التي يتحقق الان كل ما كتبه فيها : « عالم جديد شجاع » . وكل ما هنالك من اختلاف بين الواقع المائل وبين رؤية هكسلي ان الناس في روايته « ينتجون » صناعيا في انابيب الاختبار ( وحتى هذا التخليق الصناعي للكائن الانساني في انبوبة الاختبار بدأ العلم من بضعة سنوات يحققه ) ويكيفون من مبدأ امرهم ليشب الواحد منهم مهندسا او عالما او حاكما او جنديا او مجرد آلة بشرية عاملة . وحقيقة انه ما زال بيننا وبين انتاج تلك التصنيفات معمليا بعض الوقت ، الا ان المجتمع الصناعي يمارس ضبطا لا يقل فعالية عن الضبط العملي في انبوبة الاختبار ، بحيث يكاد يكون مقفيا على الفرد ( باستثناءات محدودة ولا تشكل قاعدة ) ان يشب ويقضي بقية حياته مستهلكا درجة عاشره او مديرا من مديري المجتمع ، مخلوقا « فككا » كالبنس والتصف بنس ، او انسانا

الشاسع الذي أجرته تلك اللجنة ، والتقرير الضخم الذي كتبه، عن الانتاج « الفني » المكشوف والعري والجنس وكل ذلك . ما الذي حققه اللورد ولجنته ؟ لا شيء . مجرد اثاره وفتية لنقاش ممتع وحرآف بعض الشيء ، واقبال منقطع النظير على شراء الكتاب الذي نشر متضمنا التقرير ، باعتباره « ادبا مكشوقا » ! ثم لا شيء بعد ذلك ، اللهم الا بضعة احتجاجات من كتاب وناشرين ، خوفا على « حرية الفكر » لا اقل !

والذي يبدو مؤكدا بازاء كل ذلك ان هناك مصالح معينة وقوية يهمها ان يتواصل مثل ذلك النوع من التخدير ويزداد فعالية والحاحا. وهل هناك ما هو افضل من تحويل دوافع العدوان في نفوس الملايين من المستهلكين الى مسارات كالجنس التجاري وممارسة العنف بالوكالة ؟ هل يخطر ببال انسان عاقل مثلا ان هناك اندية رسمية معترف بها في الولايات المتحدة تدعى نوادي « نواقة جرائم القتل » ( « New York's Society of Connoisseurs in Murder » )

والذي لم تقنعه حملة التكديات الضارية اللوححة فيما يتعلق « بيروتوكولات حكماء صهيون » ، الا يكون محقا اذا ما وجد خيوط علاقة قوية بين ما هو معروف من روابط الممولين اليهود الوثيقة بمنظمات الجريمة التي تدير شركات كبرى للترريح وراء تجارة الجنس ومطبوعات وافلام الجنس التجاري، وبين دافع الربح ( الذي جعل من المقدسات في المجتمعات الغربية ) وشيء اخر لا يوجد من يجرو على مجرد البدء بمحاولة النظر فيه ، هو ما توصي به البيروتوكولات من العمل على نشر الانحلال والتفسخ واشاعة البهيمية في مجتمعات الامميين ؟

والطريف في ذلك كله ان اليمين البريطاني ، وقد خسر الكثير من معاركه السياسية ، التقط قضية التسبب الخلقي الذي تدهور اليه المجتمع التسامح او التساهل وحاول ان يستخدمها بين ما استخدمه من مساحيق وادھنة تجميلية لاستعادة صباه ( ولو ظاهرا ، على البشرة فقط ) واسترجاع بعض جاذبيته لجمهور الناخبين باعتباره منافحا عن « القيم » و « الاخلاق » . والاشد امتناعا من ذلك ان اليمين البريطاني عندما التقط تلك القضية لم يجد من يطلقه ليلوح بها ويحث الشعب البريطاني على العودة الى درب الفضيلة ومكارم الاخلاق ( الفكتورية بغير شك ) الا احد عتاة الصباينة من اعضائه . فالسادة المحافظون ( كثيرهم من « المحافظين » في اي مكان وزمان ) يحبون ان يطلقوا الناس دائما بصورة تقول انهم من شدة « محافظتهم » يموتون شوقا الى المحافظة على الفضيلة والاخلاق العامة ، خشية ان يمسا ضر ، لا سمح الله . لكن ذلك شيء لا هو هنا ولا هو هناك ، كما نقولون ، شيء للاستهلاك العام فقط ، والدعاية السياسية . اما داخلا ، وراء الستار المخملي ، فالله وحده يعلم بما يجري وتتسرب اخباره احيانا الى صفحات الفصائح بالصحف والمجلات .

غير ان هناك احتجاجا من نوع آخر تشهده لندن حاليا : مسرحية للكاتبة كاريل تشرشل عنوانها « اعتراضات على الجنس والعنف » ، يعرضها مسرح الرويال كورت . والمسرحية كعمل فني ، او حتى كصناعة مسرحية ، ليست باهرة او مثيرة للاعجاب . فهي تكاد تكون عديمة الحكمة عديمة الحدث . ولا ضر في ذلك . فالمرح الماصر الف هذا وما هو اكثر منه . وهي بطيئة الايقاع ، خطابية ، تذكرنا في بعض المواضيع بأسوا لحظات برنارد شو الكلامية . الا انها ، رغم عيوبها الكثيرة ، ذكية ، او قل منبئة عن فطنة مؤلفتها التي قد لا يكون لها في النهاية الا فضل السبق الى التقاط راحة احتجاج ما قد يفصح عنه الناس في اوربا عما قريب فسد الافراط المبالغ فيه في العري والجنس والعنف . ولو انه حتى ذلك يظل مشكوكا فيه بالنسبة لمسرحية كاريل تشرشل ، لانها - في نهاية المطاف - لا تفصح عن اعتراضاتها ، وتظل - كبظلة مسرحيتها جول - غامضة مغلقة على اسرارها .

تدور احداث المسرحية على شاطره من الشواطء الانجليزية الهادئة التي تبدو دائما مسكينة ومزوية خجلا لانها في بعد اميال قليلة من الشواطء الفرنسية التي تخطف البصر . والى هذا الشاطء المهجور ، في يونيو ( وهو شهر غير مأمون الجانب في بريطانيا ، خاصة بالنسبة لرتادي الشواطء ) تتوافد الشخوص ، وتلتقي كلها « صدفه » ونحن وهي بمنجاة من زحام المصطافين ، مما يتيح للكاتبة ان تنفرد بها وبنا ، لتناقش الامر معنا .

بظلة المسرحية ، او الشخصية الرئيسية فيها فتاة اوربية للفاية، « متمدينة ، متحررة ، ومتمردة » . ونحن نعمم انها « متمردة » لانها مفرمة بالقاء القنابل ، وانها مفرج عنها بكفالة ، او هاربة من الشرطة ، او شيء من هذا القبيل . ونعلم من الحوار والحدث ( الضليل للفاية ) ان جول هذه لا اعتراض لديها ( بعكس المؤلفة ) على الجنس والعنف ، بل انها منغمسة فيهما الى اذنيها ، وان بدا لها انها على العكس من ذلك تماما ، مما يجعلنا ، في بعض اللحظات ، نتساءل : ترى هل جول - في حقيقة الامر - هي كاريل تشرشل ؟ وهل كتبت المؤلفة مسرحيتها على سبيل تفحص اعمال الذات ؟ وتتحدد امامنا شخصية جول ( بالقدر الذي تتوصل اليه المؤلفة ) بازاء شخصية اختها ونقيضتها « آني » ، التي تأتي الى ذلك الشاطء المهجور صدفه وتلتقي بها . ويتضح لنا ان آني تربطها باختها علاقة تكافؤية من حب وبغضاء ، من انهيار وادانة، وبينما تقول عن تلك الاخت انها « اكثر النساء تحرا » نجدها هي « اكثر النساء عبودية » . . لاية اشياء ؟ للاشياء عينها التي تجعل جول متحررة : الجنس والعنف . فهي بعكس جول التي تلقي القنابل ، قد استقرت من قديم في نور الضحية المستقلة من الاخرين ، على المستوى الجسدي ، والمستوى الانساني ، والمستوى الاجتماعي . وبالضرورة ، يمثل الجنس والحاجة المادية المجال الاوضح لما هو واقع عليها من استقلال ، قرب العمل الثري الذي تعمل لديه استقلها في اول الامر جنسيا ، ثم احتفظ بها ، بعد زواجه ، شبه خادمة/عشيقة .

ورغم ان شخصية جول رسمت - فيما يبدو - على خطوط شبيهة بشخصية باتريشيا هيرست ابنة المليونير الصحفي الاميركي هيرست التي اختطفت ( او تظاهرت بانها اختطفت ) في العام الماضي ، وطلبت عنها فدية كبيرة وزعت على فقراء بعض المدن الاميركية طعاما، وانضمت بعد ذلك لخاطفيها علنا لتصبح مقاتلة في صفوف مقاتلي حرب العصابات الحضرية ، رغم ذلك الشبه ، فان الشخصية في مسرحية كاريل تشرشل تبدو - بالناقضة لصلابيتها وغموضها - منهزمة كاختها آني . والحقيقة ان كل شخوص المسرحية تبدو كذلك : منهزمة ، ومنعزلة ، ومسكينة . والحقيقة ايضا انك - رغم العنوان ، ورغم خطابية المسرحية - لا تعرف طبيعة الاعتراضات على العنف والجنس ، ولا تقف للاحتجاج على هوية محددة . فصاحبنا جول تحب القاء القنابل ، وتحب ممارسة العنف تجاه الاخرين ، ولكنها لا تعرف لم ، ولا نعرف نحن ايضا لم . كل ما نستطيع ان نلتمسه احساس مبهم لدى الشخصية بان القاء القنابل وممارسة العنف يجعلها تقضي وقتا طيبا . وكذلك آني ، وكذلك صديقها ، وكذلك ايضا زوج جول الشيوعي ، الذي يبدو لنا في بداية المسرحية ثوريا ممتلئا نيرانا وبراكين ، الا انه قبيل اخرها يخمد ويقول لجول ان القاء القنابل تبديد للطاقة الثورية . فتصعب عليه جول جام احتقارها .

لكن المؤلفة تنفذ مسرحيتها بشخصيتين ثانويتين : زوجين من الطبقة المتوسطة ، آرثر ، وماذج . وكلاهما من واسط الناس بحق ، بالنسبة للوضع الاجتماعي والسن . وتبدو السيدة ماجد اشبه بالام « بيب » صاحبة مشية الاوزة في مسرحية يونسكو . ولعلها ، في مسرحية هذه الكاتبة التي لا تبدو على كل ذلك القدر من السداجة ، انعكاس مسرحي لامح لقطاع من « افاضل الناس » في بريطانيا اليوم ممن فجر الاحباط المتواصل وضبعة الوهم في نفوسهم نوازع فاشية لا

تكر . فصاحبنا مَادج ناقمة على كل شيء ، منتقدة لكل ما حولها ومن حولها ، ولا ترى علاجاً لكل ذلك الا « تطبيق القانون » بكل وحشية ، ومكافحة الجنس ، واشباع رغبة « بنات هذه الأيام » في ان يجلدن . اما زوجها ، المستر آرثر ، فشخص شاحب ، مستهلك فئة خامسة فيما نظن ، يجد مهربه وعزاه الوحيد في قراءة الادب شبه المكشوف المستانس بنهم ، لكن زوجته ما تلبث ان تكتشف الامر وترغمه على حرق هذه الاشياء . وليس التصوير بعيداً عن حالة كثيرين من افراد المجتمع البريطاني كل ذلك البعد . وحتى الام « بيب » او مادج ، توأزلهما المؤلف بشخصية سيدة متقدمة في السن تدخل المشهد بطريقة شاردة اللهن فلا تبثي فيه الا ريشما نعلم من مناقشاتهما مع كل من تناولته يداها انها باحثة باستماتة عن تجربة جنسية ضائعة .

وايا كان القول في « اعتراضات » كاريل تشرشل ، فما من شك في ان آلاف النسخ من شخصها الباهتة هذه تتراى لعينيك في شوارع المدن « غير الحقيقية » وصنورها تزفر تلك التهنيدات اللصيرة المتباعدة ، وهي ذاهبة تبحث عن لحظة اثاره عابرة تستهلكها في مرقص او مشرب او دار سينما ، عن لحظة حياة بالوكالة ، او شخصية موهومة على الشاشة تقمصها .

### انارة اكثر ومشااعر انسانية اقل

تعرض دور السينما بلندن ، منذ عدة اسابيع ، فد تطول الى شهور ، ثلاثة افلام من نوع جديد يبدو ان صناعة السينما اكتشفت ( في معرض محاولاتها المستميتة للتخلص من قبضة الازمة المالية الخائفة التي تعانيها ) انه يجد قبولاً خاصاً لدى المستهلكين لانه يشبع فيهم نزوعاً مازوخياً ما ، ونفسي به افلام الكوارث الكبرى . والطريف ان اجتياح ذلك النوع الجديد من الافلام يتواكب مع تحقيق تنبؤ اخر من تنبؤات أندروس هكسلي . ففي « عالم جديد شجاع » تنبأ الكسباب بان الافلام ستتحوّل في وقت ليس بعيد الى ما اسماه بالتجسيد الحسي ( feelies ) بحيث لا يقتصر اغراق المتفرج فيما يشاهده على تقمصه للشخص وابهامه بأنه يعيش الحدث ، بل يتسع ليشمل التوصيل الحسي الفعلي لمشااعر الشخص المعروضة على الشاشة اليه، اليكترونياً . ولقد كانت الخطوات الاولى في ذلك الاتجاه تطوير العرض السينمائي ليشمل ما اسماه بالسينما سكوب ، والصوت الجسم ، ومحاولات السينيراما . وفي فيلم « زلزال » ، احد افلام الكوارث المعروضة الان بنجاح كبير في لندن ، تحقق اختراق اخر يقربنا خطوة اخرى من التجسيد الحسي الكامل الذي تصوره هكسلي وقال انه سيشمل حتى نقل الروائح من المشهد السينمائي الى المشاهد . والخطوة التي تحققت في فيلم « زلزال » ما زالت فجوة وقاصرة ، لكنها خطوة على الطريق « الصحيح » ، ان صح التصير . فانت تحس فعلاً انك في زلزال ، وتشارك الشخص ورفقتها ورعبها ، لا عن طريق التقمص فحسب ، بل وحسباً ايضاً . وبطبيعة الحال يكفيك ذلك ، فلا تذهب لتبحث عن حبكة رائعة او « سينما » جيدة . وغير « زلزال » ، تعرض دور السينما بلندن فيلم « الجحيم في الطوابق العليا » ، عن حريق في دور علوي بناطحة سحب يحاصر فيه عدد كبير من الناس ، ويجتر السيناريست في الفيلم العديد من الاجتهادات السابقة في افلام عديدة حوصرت فيها الشخص في ورقة ما وراحت الكاميرا تصول بينها وتجوّل « لتنفذ » - من خلال لحظة الازمة - الى اعماقها وتكشف معابها ومآسيتها . غير ان ذلك الترف ( تصوير الشخص و Characterization ) يبدو من الواضح انه ثانوي للغاية بجانب عناصر الاثارة والابهار في الموقف ، وهي اثاره تنقسم بطولتها النار المشتعلة والشجاعات والبراعات الميكانيكية الفردية الاميركية للغاية . وفي مدار الشجاعات والبراعات الفردية الاميركية ايضاً فيلم « المطار 1975 » ، ثالث افلام الكوارث وتقوم فيه مضيغة الطائرة بقيادتها بعد هتاء هيئة القيادة ، تساعدها في ذلك الارشادات والبطولات الالية من

الارض . وبصرف النظر عن عناصر الاثارة والابهار وشد المتفرجين وافرغ جيوبهم عن طريق اشباع نوازعهم المازوخية ، لا تفتونا سمة مشتركة في الافلام الثلاثة : التركيز على ارادة البقاء ( survival ) وابرار ما يمكن ان تحققة البطولات الفردية والبراعات الفردية ( بالمفهوم الاميركي ) في ذلك المجال ، مهما كانت الصعاب والاهوال .

وهرة اخرى نرجو ان يسمح لنا القارئ بالعودة الى صاحبنا هكسلي ، فالسينما اليوم تحقق بعضايفه تنبؤا اخر من تنبؤاته بعد ان حققته الرياضة .

في روايته « المستقبلية » وصف هكسلي تطور التنافس الرياضي الى حروب صغيرة بالسلاح الابيض وغيره على ساحات الالهاب الرياضية بين الفرق « المتحاربة » لا المتنافسة . ولقد فعل الرومان ذلك قديماً ، لكنهم كانوا يلهون بالترفج على عبيدهم واسراهم ومصارعهم الماجورسين وهم يقتلون بعضهم بعضاً ، اما ساحات « المصارعين » المعاصرين التي تراءت لهكسلي فشيء اخر يعبر عنه ، ربما ، فيلم نورمان جويسون ( مخرج فيلم « في لهيب الليل » الذي مثله رود شتيجر منذ سنوات ) الجديد ، واسمه « الكرة الدوارة » ( Rollerball ) . وفيلم جويسون يجسد ببساطة اتجاهات العنف المتزايدة في الرياضة اليوم . وقد اخرج فيلمه في ملعب كرة السلة الكبير باستاد ميونيخ الاولمبي ، اخذاً عن قصة قصيرة نشرت بمجلة « اسكواير » الاميركية منذ سنة تقريبا تنبأ فيها كاتبها وليم هاريسون ، استاذ الكتابة الخلافة بجامعة اركانساس الاميركية ، ( دون ان يذكر شيئاً عن الدين الذي يدين به بلا اننى شك لهكسلي ) ، بان النوع البشري ( المتقدم ) سيكون قد توصل ، خلال وقت لن يطول ، الى تحقيق كل ما ظل يحلم به من ضروب الترف المادي والرفاهية الحسية والرخاء والوفرة في اطار مجتمع منظم منضبط ( منضبط اكثر مما يجب ، فيما نخشى ) . غير ان كل ذلك الرخاء والانضباط سيجعلان ذلك النوع البشري الترف ( المتقدم ) مفتقرا الى شيء هام بالنسبة الى البشر كيشر : منفذ لتفريغ شحنة العدوان . والكاتب الاميركي اكايمي المران على حق . ففي ذلك المجتمع المتقدم الذي يتصوره في المستقبل القريب، والذي نعتقد انه سيكون « متمتعا » بحكومة عالية تحكّم قبضة القانون والنظام عليه ، ستصبح الجرائم والحروب والمذابح وما اليها عزيزة المثال ، ما لم تكن باذن من « المجتمع العالمي » . ولذلك سيعاني اهل ذلك العالم المستقبلي المتقدم المتخم بالترف المادي من حرمان ذي نوع جديد على البشر ، الحرمان من منافذ اشباع نوازع العدوان ! ولنتوقف هنا لحظة ، فنلق باسماعنا لرجل حجة في ذلك المجال : سيجموند فرويد . يقول فرويد في كتابه المتع « الحضارة وادواؤها » انه ما من شك في ان الانسان ذئب لايخيه الانسان . وكقاعدة ، تتريص تلك العدوانية المتسمة بالقسوة تحت السطح منتظرة استفزازاً ما يتيح لها ان تنفجر ، او ينفذ صبرها ، فلا تستطيع الانتظار ، وتضع نفسها في خدمة غرض ما يكون من الواضح تماما ان الاهداف التي ينطوي عليها يمكن بلوغها بغير عدوان وبوسائل اكثر مسالمة . غير انه - نتيجة لنوازع العدوان المتأصلة في نفوس البشر - لا يكون الاخر بالنسبة اليهم مجرد شخص يتمازنون معه ويجعلونه موضوعاً لرغباتهم الجنسية فحسب ، بل شخصاً يفرهم - بمجرد تواجده - باشباع عدوانيتهم فيه ، باستغلال قدرته على العمل ، دون ان يعطوه اجرا ان استطاعوا ، او باجر ضئيل لا يكفيء عمله ما استطاعوا ، باشباع شهواتهم الجنسية فيه بغير موافقته ، بالاستيلاء على ممتلكاته ، بالاذله ، بايلامه ، بتعذيبه ، وبقتله . فاذا ما اتبحت لتلك العدوانية الفرصة واختفت او قلت الضوابط التي تكبح جماحها ، انطلقت مبردة ، معبرة عن نفسها بتلقائية كاملة ، لتكشف عن كون الانسان حيواناً مفتقراً لا يطوي جوانحه على اي تراحم حقيقي او اعتبار لبني نوعه . ويذهب فرويد من ذلك الى القول ان ذلك الميل الى العدوان يعتبر عاملاً هاماً من

العوامل التي تهدد المجتمع المتمدين بالتفكك والانهييار ، ولذلك فان الحضارة تضطر الى بسط طاقاتها ليجم نوازح البشر العدوانية .

ومن الوسائل التي تلجأ اليها الحضارة في ذلك المجال « تحويل العدوان » ، أو اتاحة الفرصة لاشباعه في مجالات تمارس عليها المجتمعات ضبطا مستمرا وتحكما لا يقفل لحظة . من تلك المجالات الرياضة بما فيها من عناصر التنافس وتفرغ الشحنة العدوانية والطاقة الجسدية . ويزداد نوازح العدوان قوة وشراسة ، تتخذ مسارات التفرغ من خلال الرياضة اتجاهات اكثر عنفا وشراسة . بل ويمكن القول - مع تحفظات بسيطة - ان « المجتمع المتساهل » فيما يتعلق بالجنس والتركيز على مباحه ، ليس الا محاولة اخرى لتحويل العدوان في المجتمعات المتقدمة التي تتعجز فيها باستمرار مشيرات جديدة لزيد من العدوان . وما افلام الجنس التجاري والعنف الا ضرب من ضروب ذلك التحويل ، اذ يتيح ذلك النوع من الافلام لاعداد متزايدة من البشر ممارسة انواع مخففة من العدوان الجنسي واعمال العنف بالوكالة ، من خلال الابهام والتقمص . ويقول جويسون ان فكرة فيلمه الاخير واثته بعد ان قرأ قصة الاستاذ الاميركي ، وشاهد مباراة لهوكي الانزلاق على الجليد بنيويورك في مطلع سنة ١٩٧٤ . فقد لفت نظره العنف الشديد الذي التزمه اللاعبين واثار لدى عشرات الالوف من مشاهدي المباراة شيئا اشبه بالهستيريا . وعندما بلغ عنف المباراة ذروته ، وسالت الدماء بوفرة فخصبت جليد الملعب بحمرتها القانية ، ووصل جمهور المشاهدين الى حالة باتوا فيها اشبه بحيوان خرافي له عشرات الالاف من الرؤوس قد بلغت كلها قمة المتعة واروت ، احس الفنان ان ذلك بالذات هو ما جاءت تلك الالاف في طلبه ، وعندما عاودته فكرة القصة ، وتراءت له فكرة فيلمه . وقد اختار جويسون لفيلمه سنة ليست بعيدة كثيرا : ٢٠١٨ ، وهي سنة يقول الفيلم (الذي لم يجز للعرض العام في بريطانيا بعد ) ان فكرة القومية ستكون قد اختفت فيها من العالم تماما بعد ان تكون الدول قد افلست واحدة بعد الاخرى . واختفت الحريات الفردية في ظل حكومة عالية ، وباختصار ، تحقق كابوس « العالم الجديد الشجاع » الذي تراءى لبصيرة هكسلي منذ عقود . ويدور الفيلم حول بطل سباق بالدراجة البخارية ( الحصان العصري بالنسبة للشباب ) . غير ان هذا السباق لا يجري على طرق مهتدة ، بل في حلبة ملعب دائرية مغطاة بالجليد . وبشرك في « المباراة » نوعان من اللاعبين : رياضيون يرتدون احذية الانزلاق على الجليد ، وعدد من راكبي الدراجات البخارية . وتبدأ المباراة باطلاق كرة حديدية مربوطة بسلسلة ، تدور حول الحلبة بسرعة ١٢ ميلا في الساعة ، وينطلق اللاعبون ، مرتدين خوذاتهم وثيابهم المطنة كتياب لاعبي الرجبي والبيزبول ، وراء الكرة ، ليدخلها هذا الفريق أو ذاك في مرمى الآخر ، وهو على شكل نفق مغنط . ولا توجد في اللعبة قواعد أو ضربات متنوعة . فكل شيء مباح . واللاعبون تنماسكون بالايدي ويتضاربون بايديهم التي تغطيها قفازات فولاذية كدرسان العصور القديمة ، أو يدهمون بعضهم بعضا بالدراجات البخارية . وباختصار ، تسيل الدماء تفتفي أرض الملعب ، وتعدى الالاف التي تشاهد المباراة من فرط نشوة والتذاد . ولعل هذه الفقرة من قصة هاريسون توضح الصورة اكثر : « .. وينماسك اثنان من اللاعبين في عراق شرس ، فيقتد احدهما خوذه بقرية من خصمه اطارت تصف وجهه ، ويقف المنتصر يرتوي من منظر خصمه ، لكنه يقف وقتا اطول مما يجب ، لان احد راكبي الدراجات البخارية ما بلث ان ينقض عليه فيدهمه ، ويناطحه على الأرض . ووقتها يعامه صاخر حمص من المشاهدين ، وادرك انا ان اللقطة لم تفت مصورى التلفزيون ، وان عشرات الملايين من المشاهدين ، في مليون ، واربو دجانيرو ، ولوس انجليس سستمعون الان برؤيتها وهم يتلون من الاثارة في مقاعدهم الوثيرة .. »

هل تعجب اذن لكون افلام « الكونج فو » قد اجتاحت بريطانيا ، خلال سنة ١٩٧٤ ، للموسم الثاني أو الثالث على التوالي ، وان ايرادات الشباك التي حققتها كانت من اعلى ما حققه اي نوع من الافلام ؟ والمعروف ان العنف الخاطف الدموي بالغ الشراسة هو السمة الرئيسية لتلك الافلام البلهاء المكرورة التي يجتر فيها المشاهدون المرة بعد المرة الصيحات المتوحشة عينها ، والضربات « الباردة » الخاطفة ذاتها ، والحكاية الهزيلة هي هي : الشرير القوي واعوانه المجرمون ، والبطل الخرافي الفذ الذي يجهب عليهم جميعا بكفائه ، وشجاعته ، وقوته الخارقة . وتعجب لاناس مفروض انهم بلغوا شأوا عظيما من التمدين والتقدم يذهبون ليجلسوا ساعات باكملها ليرقبوا بافواه مفتوحة ، ولعاب سائل على ذقونهم ، ذلك الهراء الذي تفرقهم به ستوديوهات هونج كونج ! ثم تعود فتذكر الوجوه الفارغة ، والاعين الزجاجية المنعورة من الوحدة والخواء الداخلي ، والتنهيدات المتباعدة التي تفرها الصدور ، فيفارتك عجبك وانت تسمع الآهة الجماعية الراءشة الملتدة والبطل السلولويد صيني الملامح يتوالب كالقرود المدرب في ارجاء المشهد مطيرا الرؤوس والاطراف باقرا البطون بسيفه الرهيب وهو يطلق صيحات تشيب لهولها الولدان ، وتختلس النظرات في العتمة الى ما حولك فتجد « كل الاحبة اثنين اثنين » فتى في حضن فتى ، وفتاة في حضن فتاة ، والاعين مشدودة الى الشاشة ، ربما بنظرة فيها ومضة حياة لن تدوم الا لحظة .

فاذا ما خرجت من ذلك الجحيم الصناعي ، دهمك اعلان بعرض حافظ عليه صورة امرأة مرتدية لباس استخدام يكشف عن مساحة لا بأس بها من مؤخرتها ، وامرأة اخرى نصف عارية تتسلق حائطا او شجرة ، وجيمس بوند القتيذ ، بمسندسه لصق خده ، وابتسامته المستهتر بكل المخاطر ، العارفة بكل ما هنالك ، التي رأت كل شيء وعرفت كل النساء ، وفي مركز الاعلان مسدس ذهبي في حجم مدفع مصوبا الى مركز الاشياء . ولند احس منتجو هذا النوع من الافلام انها بدأت تبوخ ، وفطنوا الى ان ما بها من سخف بات قريبا للغاية من السطح ، فلجا مخرج اخر افلام بوند « الرجل ذو المسدس الذهبي » الى شيء من التهريج والهيويم ، واخذنا من كباريات بيروت ، حيث يضرب البطل بوند احد القضايات اسمه « اخمد » ضربا مبرحا ، انتقاما منه لازمة النفط ربما ، الى جزيرة في بحر الصين اقام عليها جاسوس دولي مولدا ضخما رهيبا للطاقة من الشمس . واثناء الحوار يقول بوند لخصمه ، قبل ان يقتله وينسف له مولده : « لا بد ان شيخ النفط على استعداد لان يدفعوا لك ملايين عديدة لكي تكف عن تنفيذ مشروعك هذا » . وكانها احس منتجو افلام بوند بالقيمة من افلام الكونج فو ، لان لقاء بختلق في الفيلم بحطم فيه بوند مصارع الكونج فو ويمحقهم !

فاذا ما خرجت من معمة بوند التي تتحول فيها السيارات الى طائرات تحلق في عنان السماء ، نادتك عشرات من دور السينما على مداخلها صور ملونة كبيرة لنساء عاريات ينظرن اليك نظرات اغراء وغواية ، تحنها عناوين كهذه : « فراش الخبيثة » « انا احب القتيات اللاتي يفعلن ذلك » ، « مضيقات الطيران يفعلن ذلك كل يوم » ، « سيلستين ، فتاة في خدمتك » .

فان لم تكن ممن يجتذبهم هذا النوع من الافلام ، تهافتت على اجتذابك عشرات من افلام القتل والجريمة ، وانجها في لندن منذ اسابيع عديدة فيلم « جريمة قتل باكسبريس الشرق » الذي كتبت قصته اجانا كريستي ، فان لم تكن براعات هر كول بوارو ( البوليس السري ) تهيب لك اشباعا او تزودك بمتعة ، وجدت عشرات افلام « الرعب » ودراكيولا مصاص الدماء تناديك . وقد بدأ منتجو افلام العم دراكيولا يمزجونها بالجنس ، لانها كثر وباحت .

والحقيقة انه في مجال افلام اللهو والامتناع لم يعد هناك ما

يستحق المشاهدة في لندن ( وبالْحَقِيقَةُ فِي مَعْظَمِ الْعَوَاصِمِ الْاُورُوبِيَّةِ )  
 الا افلام الرسوم المتحركة وافلام والت ديزني . ومن النوع الاول اخرجت  
 استديوهات السينما الفرنسية فيلما رائعا يعتبر عملا فنيا بحق  
 بعنوان « الكوكب الخرافي » ، ومن النوع الثاني اخرجت ستوديوهات  
 والت ديزني فيلما اشبه بحكايات جول فرن ، بعنوان « جزيرة في  
 قمة العالم » ، وما من شك في ان مشاهدة الفيلمين تبدو ، وسط  
 الجو الخائق لافلام الجنس التجاري والموت والقتل والاشباح والرعب ،  
 اشبه بنسمة نظيفة عذبة من هواء طلق نقي .

ولنترك الفيلمين ليكونا استهلالا لحدث الشهر القادم الذي  
 نستعرض فيه معا عددا من الافلام الحقيقية ( ومعظمها واقد من القارة )  
 كـ « الاكلة الكبرى » ( La Grande Bouffe ) ، وفيلم « الخوف  
 ياكل الروح » ، وفيلم فلليني الاخير « انا اذكر » ، وبضمة افلام جيدة  
 اخرى ما من شك في انها السينما الحقيقية الوحيدة التي استمتع  
 بها المشاهد السوي في موسم السينما بالعام الماضي .

لندن

## الاتحاد السوفياتي

(( بطاقة شخصية )) لعين بيسيسو

صدر في موسكو ، عن دار « العلم » ديوان شعر لعين بيسيسو ،  
 الشاعر الفلسطيني المعروف . وفيما يلي تقدم للقاري تحليلا ادبيا  
 لهذا الديوان ، كتبه البيروت بريخودكو ، كما اورده وكالة انباء  
 نوفوستي .

\*\*\*

ان معين بيسيسو ، المواطن الفلسطيني ، هو احد الشعراء  
 المعاصرين العرب الاكثر شعبية . وشعره متنوع ، تتلألا فيه وتسطع  
 شتى المعاني الانسانية بجميع الوانها : المناجاة الحارة عن الحق  
 والحقد ، وعن النضال والحرية ، هذه المناجاة تتعاقب عنده مع الافكار  
 الرزينة الهادئة عن معنى الحياة ، وعن الوطن وعن المستقبل وعن  
 الانسان والانسانية .

ان شعر معين بيسيسو هو انعكاس لاغوار نفسه العميقة ، وهو  
 شعر يتميز ببدايته فهو يسري على لسانه عفو الخاطر ، وهو شعر  
 يثير دهشة القاري ، ولا يتركه غير مبال .

ان قصائده مفعمة بالموسيقى والجرس الطرب الحار الذي يسحر  
 الانسان ويشحن كل انتباهه . واني لاندكر بريفان في ايلول عام ١٩٧٣  
 حيث عقدت ندوة شعراء افريقيا واسيا ، وحيث تحدث بحماسة عن  
 دور الشاعر بوصفه انسانا مبدا ، في النضال الذي يخوضه الشعب  
 العربي الفلسطيني في سبيل حقوقه ، وتقرير مصيره بنفسه .

مئة شتاء قد مر وما زال مصلوبك يا وطني يحلم ،  
 لو تلمس قدماء ، الارض النائية كنجم ،  
 لو يمشي ، لو يسمع وقع خطاه ...

(( الى طفلتى دالية ))

ان الشعر بالنسبة الى معين بيسيسو هو موسيقى تستقي لحنها  
 من اعماق القرون ، فرون تاريخ الشعب ، وهي تعبر عن حكمة الشعب ،  
 وطموحاته وحبه وغضبه . والشعر بالنسبة الى معين بيسيسو هو نشاط  
 توري وتحري ، يعزز ويؤجج لهيب النضال الشعبي .  
 اخي او شحطوا السيف على عنقي فلن اركع .  
 ولو في لحي الدامي حبال سياطهم تنقع  
 فلن ارجع عن فجري ، لن ارجع ، لن ارجع

وقد اوشك ان يطلع ، قد اوشك ان يطلع  
 من الارض التي من نديها بركاننا يرضع .  
 اخي ، لو جرنه الجلاذ قدامك للمذبح  
 لكي ترع ، ترجوه بان يعفو وان يصفح  
 اخي ، ارفع راسك الشامخ كي تشهني اذبح  
 لكي تشهد جلادي ، والسيف الذي يرشح  
 اخي ، من يفضح الجلاذ ، غير دماننا تفضح .  
 « السيف على العنق »

ان الشاعر يعني للصلاية والصمود ، وللقوة وللنفس الابية ،  
 ولارادة ابطال الشعب العربي الفلسطيني من اجل الحرية . وسعادة  
 والام هذا الشعب الباسل ، هوموه وامانيه ، هي الموضوع الرئيسي في  
 قصائد فنان الكلمة الشاعر معين بيسيسو .

يا وطني اين الاغنية تساق ؟  
 من اجلك شلال مرايا صفر ،  
 شلال مرايا سوداء ،  
 من اجلك ارجم بالنار ...  
 من اجلك احمى اسواري ...  
 من اجلك احمى اغلاله  
 من اجلك ، خبزي بدمائي  
 في ظلي غرز واشعاري ...  
 « الاغنية المعصوبة العينين »

ان معين بيسيسو شاعر اممي ، وهو بعيد كل البعد عن ضيق  
 ومحدودية الشوفينية . والشعر بالنسبة اليه اداة ثورية في يد  
 الشعوب ، في كل مكان يجري فيه النضال ضد اعداء الانسانية ،  
 النضال ضد الاستعمار والظلم ، ضد التمييز العنصري ، ضد  
 الاستغلال والاضطهاد . والانسان السوفياتي لا يستطيع ان يقرأ دون  
 انفعال شعر معين بيسيسو المكرس لاطفال ليننفراد ، الذين عرفوا معنى  
 الحرب والحصار . كما ان اليوناني ، وهو يقرأ تلك السطور المكرسة  
 لسجناء بلاده ، اخوان الشاعر في النضال ضد قوى الظلم والظلم  
 في القرن العشرين ، لا يمكنه ان يقرأها دون ان تدمع عيناه ، وهو  
 يذكر بالتالي تلك السنوات المظلمة لحكم « الجبرلات السود » .

ويشدد معين بيسيسو عندما يتحدث عن هذه القوى السوداء ، لان  
 الامر لا يتعلق بالقومية التي تنتسب اليها هذه القوى . فليكن هذا  
 فاشيا من الفريق الهتلري الخاص ، او شرطيا عنصريا تابعا لنظام  
 جمهورية جنوب افريقيا ، او جنديا تابعا للبتناغون ممن دمروا قرية  
 سونغ في الفياتنامية ، او محتلا اسرائيليا ، او من مؤيدي الطغمة  
 العسكرية في تشيلي . فالحلم هنا طبيعة هذه القوى الاجتماعية ، المهم  
 هو انا ، آنت وهو .

ان الشاعر معين بيسيسو هو دائما مع الانسانية المناضلة ضد الشر  
 الاجتماعي ، وفي سبيل القيم الخيرة . وشعره دائما الى جانب النضال  
 المستمر ضد الظلم والاستغلال ، وفي سبيل بناء مستقبل افضل  
 ونير . ان الجمال مرتبط دائما باخوة الناس وبحرارة العمل الابداعي ،  
 والانسانية وكرامة الانسان ، التي تثور ضد الظلم والظلم ،  
 والتي لا تنجز من معاني واماني المستقبل . ومعين بيسيسو يؤمن بان  
 الشعب الفلسطيني البطل سيحرز بنضاله العادل العنيد حقه في تقرير  
 مصيره على ارضه ، وفي سلام عادل يسود ارضه المعذبة .

والقراء السوفيات يعرفون بصورة جيدة هذا الشاعر المرموق ،  
 المعظم بالشاعر الطيبة والودية نحو بلاد السوفيات ، من خلال العديد  
 مما نشرته الصحف والمجلات السوفياتية بشتى لغات شعوب الاتحاد  
 السوفياتي ، ومن خلال ديوان شعره « فلسطين في القلب » المطبوع  
 عام ١٩٧٠ . واخيرا فان هذه القصائد التي جادت في هذا المقال ضمنها  
 كتاب « بطاقة شخصية » لعين بيسيسو ، هذا الكتاب الذي صدر  
 حديثا في موسكو مترجما الى الروسية بصورة عبقرية بقلم مغايل  
 كورجاتسيف الشاعر السوفياتي المعروف .